كيف أدخلت «إسرائيل» نفسها في مآزق عدّة؟

ليلى نقولا
كاتبة ومحللة سياسية

كشفت الهدنة المؤقتة في غزة حجم الدمار الهائل الذي تسبب به القصف الإسرائيلي، وبات يتكشف يوماً بعد يوم حجم الكارثة الإنسانية التي تسبب بها الانتقام الإسرائيلي غير المسبوق عبر قتل المدنيين والأطفال وتدمير المستشفيات والبنى التحتية، علماً أن هذه الأهداف لا تضيف أي قيمة عسكرية إلى أي جيش في العالم، بل إنها مجرد انتقام قامت به "إسرائيل" في ظل عجز عسكري وسياسي عن تحقيق الردع المطلوب تجاه المقاومة الفلسطينية.

وإضافة إلى الدمار، كشفت هذه الحرب منذ ٧ تشرين الأول/أكتوبر ولغاية تحقيق الهدنة أن "إسرائيل" تعيش مأزقاً كبيراً، يتمثل في عدم قدرتها على الاستمرار في الحرب وعدم التراجع عنها في آن، إضافة إلى العديد من المآزق التي يمكن تفصيلها فيما يأتي:

المأزق العسكري–السياسي

بعد تدمير واسع وقصف متواصل غير مسبوق في تاريخ الحروب، بدأت "إسرائيل" حربها البرية على قطاع غزة بعد مرور ٣ أسابيع على عملية ٧ تشرين الأول/أكتوبر. وبعد ما يقارب شهراً من الأعمال القتالية، ظهرت حماس في مدينة غزة بكامل عتادها العسكري، وقامت بتسليم الدفعة الأخيرة من الرهائن في شارع فلسطين، وفي منطقة ادّعت القوات الإسرائيلية أنها سيطرت عليها.

وإضافة إلى ظهور زيف الادعاءات الإسرائيلية بسيطرتهم على شمال غزة وتهجير سكانه والقضاء على قدرات حماس فيه، فإن ما كشفته الصحف الإسرائيلية عن انشقاقات وإقالات في صفوف "الجيش" الإسرائيلي وهروب من الخدمة وإخفاقات كبرى في المعركة يشير بما لا يقبل الشك إلى أن هناك إخفاقات عسكرية كبرى سوف تكشف بشكل أكبر بعد هدوء المعارك وبدء التحقيقات الإسرائيلية.

واليوم، يجد المستوى السياسي الإسرائيلي نفسه محرجاً، فقد وضع أهدافاً عالية جداً لهذه الحرب، ولم يستطع تحقيقها بعد ما يقارب ٥٠ يوماً من القتال. ولا يبدو أن الإمكانات مناسبة لتحقيق هذه الأهداف، وخصوصاً أن "الجيش" غير قادر على تسجيل انتصارات عسكرية تسمح بتحقيقها.

لذا، إن المأزق الإسرائيلي يتجلى في تناسب الأهداف الموضوعة مع القدرات والإمكانات المتوافرة. وبات على "إسرائيل" لتجنّب المأزق إما أن تزيد قدراتها، وهذا صعب جداً (بعدما استخدمت كل ما تستطيع من قدرات)، وإما أن تخفض سقف أهدافها، وهذه خسارة محققة.

مأزق "الثقة" المجتمعية

عاش المجتمع الإسرائيلي منذ بداية تأسيس الكيان على الثقة بـ"الجيش" – الدرع الحامية، المؤسسة الوحيدة التي تتمتع بثقة الإسرائيليين في الاستطلاعات التي سبقت الحرب.

في استطلاعات الرأي التي أقيمت في "إسرائيل" قبل الحرب وخلال فترة الصيف الماضي، بينت النتائج أن ثقة الجمهور بالكنيست كانت متدنية جداً، وكذلك الثقة بالحكومة الإسرائيلية التي قال ٧٠٪ من مجمل المشاركين إن ثقتهم بها معدومة تماماً أو قليلة جداً، وبقي "الجيش" المؤسسة الوحيدة الإسرائيلية التي تتمتع بثقة الجمهور الإسرائيلي، وبنسبة كبيرة، لكن ما حصل في ٧ تشرين الأول/أكتوبر وما بعده من إخفاقات حربية، كما تشير الصحف الإسرائيلية، وكما ظهر من تبادل الاتهامات بالإخفاق بين نتنياهو والمؤسسة العسكرية، أن هذه الثقة تراجعت إلى حد كبير، وخصوصاً في ما يتعلق بقدرة "الجيش" على حماية "الدولة" والمواطنين.

> عاش المجتمع الإسرائيلي منذ بداية تأسيس الكيان على الثقة بـ«الجيش» – الدرع الحامية، المؤسسة الوحيدة التي تتمتع بثقة الإسرائيليين في الاستطلاعات التي سبقت الحرب

مأزق "قيمة الإنسان - الفرد"

منذ زمن بعيد، عاش الإسرائيلي على ثقة بأنه "مواطن ذو قيمة"، فهو ناخب يقرر شكل المؤسسات في انتخابات حرّة، وصوته مسموع، وحتى حياته لها قيمة كبرى لدى دولته، بدليل مقايضة الآلاف من الأسرى الفلسطينيين في مقابل جندي (شاليط نموذجاً) أو حتى بذل كل ما يمكن من أجل معرفة مكانه أو إعادة رفاته في حال قتل في المعارك (رون أراد مثالاً).

لكن خلال هذه الحرب، أعلن نتنياهو وأركان الحرب والكثير من المسؤولين الإسرائيليين أن "هدف القضاء على حماس أهم من استعادة الأسرى"، وأن "هدف استعادة الرهائن ليس أولوية"، إضافة إلى تصريحات تصب في السياق نفسه، وتقول إنه يجب شنّ حرب حتى لو مات جميع الرهائن.

هذه القناعات لدى المسؤولين الإسرائيليين هي التي أدّت إلى تأخير المفاوضات حول تبادل الرهائن، وهي التي ضربت بحياة الرهائن الإسرائيليين عرض الحائط، وهي التي صمت آذان المسؤولين الإسرائيليين عن صرخات الأهالي المطالبين بتحرير أبنائهم وبناتهم، وخصوصاً بعدما أدى القصف الإسرائيلي على القطاع إلى موت بعضهم.

هذه التجربة ونسبة تبادل الرهائن مع الأسرى الفلسطينيين بعد ٧ تشرين الأول/أكتوبر تشيران إلى تبدّل في الفكر الصهيوني – الإسرائيلي، بحيث باتت "الدولة وأمنها" أهم من حياة الفرد في "إسرائيل"، وهذا سيؤدي إلى تعميق الهوّة بين الدولة والفرد، وبين الفرد ومؤسساته، ليضاف إلى أزمة الثقة بالدرع الحامية؛ أي الجيش.

في النتيجة، لا شكّ في أن السابع من تشرين الأول/أكتوبر وما بعده سيكون نقطة تاريخية مفصلية في حياة الإسرائيليين، فالأمن والبحبوحة اللتان لطالما أغرتاهم للقدوم من أقاصي الأرض للاستيطان في "إسرائيل" ستكونان من الماضي، فلا ثقة بأي أمن بعد مشهد المقاومين يقتحمون الأسوار التكنولوجية، ولن تغري البحبوحة أناساً معرضين بأمنهم وأمن أولادهم، والحرب التي قال لهم نتنياهو إنها ستعيد الأمن وهيبة الردع لا يبدو أنها ستحقق شيئاً. أمام هذا المشهد من المآزق السياسية والعسكرية والاجتماعية، ستكون الحكومة اليمينية في الكيان أمام مأزق جديد، فإما أن تقدم تنازلات للفلسطينيين لتحقيق بعض الأمن عبر سلام "عادل"، وإما تسريع الخراب.

هل باتت الصهيونية عبئاً على الغرب؟

د. أحمد الشامي
كاتب ومحلل سياسي

مع بداية تشكل فكرة إقامة وطن قومي لليهود على أرض فلسطين، كانت الحركة الصهيونية بما تختزنه من فائض في نزعة التطرف والإلغاء هي الخيار الأفضل لدى الغرب، باعتبار أن إمكانية قيام هذا الوطن المستجد واستمراره وكيلاً يرعى مصالح الغرب وسط بيئة تختزن في وعيها الديني رفضاً حاسماً له، هو مطلب يصعب تحققه، ما لم تسند المهمة إلى جهة لديها القابليات والجهوزية لممارسة العنف بإفراط إلى حد التوحش من أجل تطويع الدول والمجتمعات العربية والمسلمة.

لقد أدّت الحركة الصهيونية دورها بإتقان، حيث مارست الإبادة والتهجير القسري للفلسطينيين من غير اليهود، وبالتالي في خوضها للحروب ضد ما يعرف بدول الطوق، بغية إدخال المنطقة بحال من عدم الاستقرار الأمني والسياسي بوصفه مطلباً غربياً حتى لا تستطيع هذه الدول أن تنهض إنمائياً بعد خروجها من دائرة الانتداب، وأن لا تتحد في مواجهة الكيان الإسرائيلي، ما يجعلها تهديداً حتمياً لبقاءه وللمصالح الغربية.

حدثان مهمان شهدتهما المنطقة، عندما انهار الاتحاد السوفياتي الحليف المعلن لدول وحركات المقاومة العربية، وإلى جانب ذلك انطلاق مسار التطبيع مع الكيان الإسرائيلي، بدءً من مصر التي كانت رائدة المقاومة في العالمين العربي والإسلامي، وبالتالي مع منظمة التحرير الممثل المعلن للمقاومة الفلسطينية، وبعدها كرّت السُبحة.

وفيما راح الأمريكي يحتفل بنهاية التاريخ، وبأحاديته الحاكمة للعالم، وأن ثقافة المقاومة في المنطقة آيلة إلى الأفول، برز الإسلام الحركي المقاوم بسرعة لافتة، معلناً استكمال النضال من أجل تحرير فلسطين والمناطق العربية المحتلة من قبل الكيان الإسرائيلي.

لقد راهنت الإدارة الأمريكية على إمكانية احتواء هذه النهضة الحديثة للإسلام المقاوم عبر تفعيل الصراعات العرقية والطائفية بين العرب والمسلمين مستعينة بكل ما يفرقهم في العقيدة وفي أحداث من التاريخ. وكذلك، عبر استخدامها لسلاح العقوبات الاقتصادية، بوصفه السلاح الأفعل في دفع مجتمعات دول وحركات المقاومة للتراجع عن خياراتهم، مستعينة بذلك، بسياسات اقتصادية خاطئة مارستها جهات فاسدة في داخل الدول التي تنسب إلى محور المقاومة.

فجأة، حدث الطوفان الصدمة والمدويّة في ٧ أكتوبر، انطلاقا من الحلقة الأضيق والأضعف في محور المقاومة، وبأسلوب عال الذكاء، كونه صوّب نحو فضح مستوى هشاشة الكيان الإسرائيلي، ومن أجل استثارته للكشف عن حقيقة هويته المتوحشة، التي عمل الأمريكي جاهداً لتغييبها عن المشهد كمقدمة لازمة لتسريع مسار التطبيع.

وسرعان ما استجاب الإسرائيلي غرائزياً لهذه الاستثارة، فراح يرتكب المجازر المهولة، وفيما ظنّ الأمريكي ومن حوله بأنّ هذا الأسلوب العنفي الإجرامي سوف يكمل دوره في إرهاب الخصوم ودفعهم نحو الرضوخ والتسليم، عبر مدّ الجيش الصهيوني بأحدث وسائل القتل والتدمير، جاءت النتائج صادمة، فالمدنيين الذين خرجوا من تحت الركام أحياء ليسوا أقل صلابة من الذين خرجوا من الأنفاق مقاتلين، والمقاومة امتدت عملياً لتكون محوراً كبيراً.

لقد انقلب السحر على الساحر، فالحركة الصهيونية التي جيء بها لتكون خادمة لمصالح الغرب، صارت تستدرج الغرب من أجل حماية وجودها ومصالحها، في تعبير واضح عن إحدى أفظع مرتكزات الوعي الإسرائيلي بأنّ العالم إنّما أوجدهم الله ليكونوا خدماً لليهود. وأنّ سياسة التوحش والإجرام الصهيوني صارت تحدث في نظرة المجتمع الغربي لنفسه مقتلاً.

لا يبالغ التحليل حين يقول إن واحدة من التفسيرات لمشاهد التظاهرات الضخمة في بلاد الغرب، بأن مجتمعاته سارعت إلى التنديد بجرائم الصهيونية بحق الفلسطينيين هرباً من أصابع الإدانة والسؤال عن حقيقة منظومتهم القيمية التي يتباهون بها، إلى جانب الخوف والقلق، بأن تشكل الهجرة المعاكسة للصهاينة نحو بلاد الغرب انتشاراً لهذه الوحوش البشرية في مجتمعاته.

إنّ الأمريكي وحلفاءه في مأزق معقد وكبير، فالكيان الإسرائيلي لا يزال حاجة ضرورية لمصالحهم، ولكن النزعة الصهيونية التي تستحوذ بحسب أكثر الدراسات على غالبية المجتمع الإسرائيلي، تعطي نتائج عكسية ومقلقة. إذ تشير كبرى الدراسات التي تنشر في الحلف الأمريكي بأن التطرف الصهيوني يسهم بشكل فاعل بتوفير البيئة المناسبة لتطور حركات المقاومة وثقافتها، ويقودهم التحليل إلى ضرورة إقدام الأمريكي وحلفائه على خطوات ضرورية، منها:

- إعادة طرح الدولتين كحل نهائي للقضية الفلسطينية بوصفها محوراً أساسياً لحركات المقاومة.
- إعطاء لبنان ما يطلبه على مستوى الحدود الجنوبية، وفي الداخل، كون المقاومة فيه تعد في مقدمة من يقود المواجهة مع المصالح الأمريكية، انطلاقاً من هذه المبررات.

وتبقى الأنظار تتطلع نحو هذا المجتمع الوحشي الذي جرى بناؤه بعناية وبموارد ضخمة على مدى عقود طويلة من الزمن، هل من الممكن احتواؤه، أم أن العالم سيكون على موعد مع طوفان آخر؟

> التطرف الصهيوني يسهم بشكل فاعل بتوفير البيئة المناسبة لتطور حركات المقاومة وثقافتها، ويقودهم إلى ضرورة إقدام الأمريكي وحلفائه على خطوات ضرورية

التحليل الإخباري

جنين الأسطورة.. والبطولة

ليلى عماشا
موقع العهد الإخباري

جنين.. يرتبط الإسم في بالنا وقلوبنا بسيل من صور: حصار المخيم، الأرض المحروقة، السلاح "الفردي" ضدّ جيش مدجّج، الاشتباك، الأسود.. يختصر الإسم فلسطين ويتخذ ملامح الفدائي الذي لا يُضام، يقاتل منذ أن تلامس قامته طول البندقية، ويظلّ مقاتلًا حتى يُستشهد.

جُن جنونه يا جنين.. تقول الأنشودة الفلسطينية، وبالفعل، لا يمكن توصيف ما جرى بالأمس في جنين سوى بحالة جنون متوحّش: اجتاح العدو جنين، حاصر مستشفياتها ومنع الوصول إليها، اعتقل المصابين.. جُن جنونه من شبّان لا يكفّون عن القتال.. يؤلمونه في كلّ حركة لهم، ويوجعه أنّه رغم إحكام سيطرته على أرضهم، لا يستطيع إلى إخماد ثورتهم سبيلًا.

لطالما شكّلت جنين بالنسبة للعدو عقدة لا يجد لها حلًا.. كل مفارقها محاور قتال.. كلّ أولادها عسكر مقاتل، وكلّهم على الأرض مشتبكون حتى آخر قطرة دم، حتى آخر ضحكة تهزأ بالإحتلال وتوصي البقيّة أن "ما تتركوا البارودة" بصوت أسد شهيد يُدعى ابراهيم النابلسي.

في جنين، كما في سائر مدن وقرى الضفّة الغربية، المقاومون يبدعون بدون سلاح نوعيّ سوى أرواحهم، وهم مصداق "الروح هي لي بتقاتل". هناك، للحجر وللسكين ولبندقية "الكارلو" ولكلّ طلقة قيمة تفوق المعقول في كل الحسابات. يشغلون بال الجيش العدوّ في كلّ لحظة، حتى حين يبدو وكأنهم خفتوا، يعلم عدوّهم أنه في أي ثانية سيتلقى ضربة.. ولشدّة غروره المقترن بانعدام القدرة على التعلّم من التجارب، لا يكفّ عن محاولة كسر أنف المدينة المحاربة، ومخيّمها الذي صار بطلًا يحمل شخصية فدائي ملثّم يحاصر كيان الإحتلال بطلقات قليلة.. قل حتى آخر طلقات بندقيّته، وينتصر. حتمًا ينتصر! هل يُهزَم مشتبك في ساحة حق؟!

حتى الساعة، تتواصل الأخبار من جنين: اشتباكات بين المقاومين وجيش الإحتلال على مختلف المحاور، اقتحام المدينة وهو الأكبر منذ بداية معركة طوفان الأقصى، حصار المخيّم من جهاته الأربع واعلانه منطقة عسكرية، حصار جميع المستشفيات في المدينة ومنع سيارات الإسعاف من دخول مناطق الإشتباكات، اعتقال مصابين تقلّهم هذه السيارات، غارات بالمسيّرات على المخيّم، قصف المنازل بالقذائف أو اقتحامها، اعتقالات... وكما أخبار العدوان، كذلك تتوالى أخبار المقاومة والتصدّي واستهداف الآليات بالعبوات الناسفة والإشتباكات والإلتحامات مع جنود العدو، استهداف التعزيزات العسكرية للعدوّ بالرصاص..حرفيًا، في كلّ الضفة وبشكل خاص في جنين، يمارس العدو همجيّته كلّها ويتصدّى لها الفلسطينيون بكلّ ما يمتلكون: رصاص قليل وأرواح تتفوّق في عدّتها القتالية..

وبذلك، كما غزّة، تُسقط جنين وكلّ الضفّة الحجّة عن كلّ من يسوّق للخيارات الإنهزامية تحت عنوان صعوبة القتال ومرارة المواجهة بالصدور العارية ومن تحت الحصار.. وبذلك أيضًا، تُبقي فلسطين قلبنا فيها وعيوننا عليها، فلا تأخذنا الهدنة التي يخرقها الصهاينة بين الحين والآخر إلى غرق في أيّة تفاصيل، تبقينا فيها، وهي البوصلة والطريق!